٩٣/٨/٣١
3
ترجمة تحقيق التايم
"سيراميارلو"
٢-٥٥٥١-٨٣١٥٩٣

بحث عن المفقودين

السلام عاد، لكن آلاف الرهائن ما تزال مفقودة.

عند الساعة الحادية عشرة من صباح الجمعة وامام مكتب المحامي في بيروت تصطف عشرات النسوة، واضعات حول اعناقهن صور اولادهن وازواجهن المفقودين. انهن ينتسبن الى لجنة اقرباء المخطوفين والمفقودين التي تضم مسلمين ومسيحيين ودروز فرقتهم الحرب مرة. والآن يجمعهم الحزن والغضب. بين النسوة يقف مصطفى فرّا رجل عجوز منحنب يبلغ الثمانية والسبعون عاد من توكسن اريزونا للبحث عن ابنه عامر الذي اختطف منذ سبع سنوات بعد ان تم دراسته الجامعية في حقل الهندسة. يحمل فرا في كيس من البلاستيك قصاصات من الجرائد التي تتطرق الى موضوع الرهائن الغربيين ومراسلات عقيمة مع البيت الابيض وادارة الولاية وجمعية الصليب الاحمر الدولي بواسطة المبادلة ويعتقد العاملون في حقل حقوق الانسان انه لم يعد هناك رهائن احياء. يرفض فرّا احتمال موت ابنه ويقول وهو يجهش بالبكاء «اريد فقط ان اضمه بين ذراعي قبل ان اموت».

خلال الحرب الاهلية من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٩٠ كل الميليشيات اللبنانية اختطفت رهائن. البعض اعيد بعد ان احتجز فترة طويلة في حين قُتلت الاكثرية. فبينما استأثرت حفنة من الرهائن الغربيين بانتباه العالم في الخارج، كان سبعة عشر الفا من اللبنانيين يختفون في وطنهم دون اي اثر. ويقول مندوب جمعية الصليب الاحمر الدولي برنادر بغفرلي «لا يخطف الانسان بسبب ما فعله وانما بسبب دينه».

عدنان حلواني مدرس تاريخ في المرحلة الثانوية النهائية كان واحدا من بين اكثر من الفين وستمئة مسلم يساري ابعدوا في العام ١٩٨٢ بعد ان تحالف الجيش اللبناني مع ميليشيا الكتائب المسيحية واسرائيل ودخل الاحياء المسلمة في بيروت. وتذكر وداد زوجة عدنان انها كانت تحضر طعام الغداء عندما قرع الباب وخطف ضابطان زوجها بقوة السلاح وقالا انه سيرجع بعد خمس دقائق وقد مضى على غيابه عشر سنوات ونصف. وقد اخبرت ولديها الصغيرين على مدى ستة اشهر ان اباهما مسافر وعلمت في النهاية ان زوجها حول الى ميليشيا الكتائب اليمنية.

وتقول وداد حلواني التي تبلغ ٤١ عاما «مرات عديدة في الليل عندما اسمع ضجة ام كلبا ينبح افكر ان عدنان قد عاد الى البيت، فكرت اني اعرف عندما يكون جائعا ام يشعر بالبرد في يوم من الايام نظرت الى المرآة ووجدتني نحيلة كالشبح. فصممت ان على ان اكون قوية من اجل الاولاد. قال لي ضابط الجيش الذي زرته ان الكثيرات يبحثن عن رجالهن فطلبت منه ان يعطيني اسمائهن». هكذا وبعد اختفاء زوجها بعدة اشهر اسست وداد حلواني مع محامية حقوق الانسان سنان براج، لجنة اقرباء المخطوفين وتقول «اذا علم عدنان بما اقوم به سيكون فخورا» «وايضا عندما اواجه قرارا صعبا، او اكون متعبة اراه امامي واكلمه احيانا اسمع صوته يقول لي برافو وداد استمري قدما».

خلال سنين الحرب الاولى تساوى عدد المخطوفين من مسلمين ومسيحيين اما بعد الهجوم الإسرائيلي عام ١٩٨٢ فكان للمسيحيين اليد الطولى وتم خطف المسلمين جماعيا وقد انعكس الوضع بعد ان انسحب الاسرائيليون. بقيت اوديت سالم - لها من العمر ٦٠ سنة الان - مع ولديها في بيروت الغربية ذات الغالبية المسلمة بالرغم من الاخطار وتتذكر اوديت سالم ان حياتها توقفت يوم خطف ابنها ريتشارد ٢٣ سنة وابنتها كريستين ٢٠ سنة على الهوية فقط لانهما مسيحيان. قيل لها ان حزب الله الذي تسانده ايران قد اخذ ولديها، ولا تزال من ثماني سنوات تذهب يوميا الى الوسيط الذي يدعي ان ريتشارد وكريستين لا يزالا محتجزين في سهل البقاع وبالرغم من انكار حزب الله لهذا الادعاء الا انها تتمسك باقوال الوسيط اذ ان الامل يولد اوهاما محزنة. اخيرا في نهاية العام ١٩٩٠ وعد الوسيط الام بان ابنتها ستطلق يوم عيد ميلادها الموافق في يوم الميلاد وتقول اوديت سالم «لقد حضرت الطعام واشتريت الهدايا لها، تلك الهدايا التي لا تزال ملفوفة تنتظرها».

يشعر الاقرباء الحزانى بالاهانة عندما يرون قادة الميليشيات السابقين المسؤولين عن عمليات الخطف يمثلون المراكز الحكومية المتقدمة. وقد طلب رؤساء الوزارات على التوالي معلومات عن المفقودين وقبلوا بادعاءات الميليشيات انه ليس هناك اي سجين محتجز. وتتهم وداد حلواني قائلة: «لم يقل احد لهؤلاء الناس انتم فعلتم ذلك ومن مسؤولية الحكومة ان تفضحهم». هذه السنة صعّدت لجنة اقرباء المخطوفين نشاطها اذ تمركزت امام الابنية الحكومية واقترحت قانون لتحرر العائلات من السجن القانوني الذي ضرب حولها.

فالى ان يعلن شرعا ان المفقودين هم اموات، لن تستطيع النساء الزواج ولن تباع الممتلكات وستبقى الحسابات المصرفية مجمدة. من المتوقع ان يمرر هذا القانون خلال الاشهر المقبلة، حينها سينسى الجميع الرهائن المخطوفين او المفقودين الا انسباؤهم. وعبر كامل الاراضي اللبنانية في حفر الاسمنت المخبأة تحت الابنية، وفي الكهوف والآبار المهملة تبقى المقابر الجماعية بلا اكتشاف.

كوليت حاماتي

كلية العلوم -

الجامعة اللبنانية

(عن مجلة التايم الاميركية)